الأراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

تحبحكاشين فكحصر المنهضضة في العصراق الــــــين العـــربي- مسعر (من عبسده إلى طه هـــين)

الكبار ، وعماد فكره هو العودة إلى ما يعدّه (حوهر الإسلام الصحيم) وقد خاضا تجربة سياسية مخفقة في إطار علاقته مع الأفغاني ومساندته لثورة عرابحا فانتهجا الحانتيجة مؤداها الكفر بالسياسة: "أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس". في مواقفه السياسية كان موالياً لسلطة الخلافة العثمانية لكنه في نتاجه الفكري كان ضدها ، فلم تتضمن مسودة الدستور التي وضعها للثورة العرابية "أيا لكنه بالمقابك ظك مفكراً يعتقد بأولوية التربية والعناية بها عاملاً في تحقيق النهضة. وكان محددأ عقلانيأ يعتقد بالسلطة المدنية ويرك أنه "ليس في الإسلام سلطة دينية ، سوى تبلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتنفير من الشر" ولكنه لم يصك إلَّا فكرة فُصك الديث عن الدولة ، بك عدّ ذلك مستحيلاً. أما ميزة المجتمع الإسلامي الأمثك عنده فلم تكث تنحصر في الشريعة ، ىك تتناوك العقك أيضاً. فالمسلم الحقيقي هو الذي يستعمل عقله في شؤوت العالم والديث. والكافر

الحقيقي وحده هو الذي يطبق

مما لاريب فيه ان دراسة التحولات

الاجتماعية من منظور مولداتها ومدياتها

وأشكالها وبخاصة المتبدلة منها في العراق في

ظل اكثر من اربع سنوات من استخدام القوة

والوسائل التي مزقت النسيج الاجتماعي

العراقي وادت الّي سلسلة لم تتنته بعد منّ

التحولاَّت الاجتماعية ، ابرز أهمية كبيرة في

تشخيص العوامل الضاعلة في التحول

الاجتماعي وآليات هذا التحول ، زد على ذلك

الظواهر الجديدة المصاحبة للتحول والتي

تمثلت بتفاقم الانقسام والانحياز الطائفي في

اطار سياسي غير مسبوق . وهذا ما دفعنا

لهذه المحاولة المتواضعة لالقاء الضوء على

انواع التحولات الاجتماعية

لغرض الوقوف على اتجاهات تلك التحولات

الاجتماعية في العراق لابد من التمييز بينها

من منظور مولداتها ومدياتها وأشكالها وكما

, األتحول الاجتماعي الداخلي الطبيعي:

ويتم عبر الهياكل الاجتماعية والثقافية

والاقتصادية مرتكزا على مخزون ثقافي واسع

سستوعبأ النظام المعرية والتراتبيات

الاجتماعية والامكانيات الاقتصادية وطرق

الانتاج المتبعة والعادات والتقاليد والقيم وكل

ما يضطلع في تشكيل هوية المجتمع، أي رؤية

هذا المجتمع لذاته وللعالم من حوله ولغاياته

الكبرى، وبالتالي فإن هذا المجتمع يمارس

سلطانه الكامل على تحوله الذاتي وهذا

يجري ويتم في ظل الظروف الطبيعية التي

, التحول الأجتماعي الداخلي غير الطبيعي

ويتم نتيجة تبني اتجاهات متطرفة في

انحيازها لمخزونات ثقافية وعادات وتقاليد

وقيم تشكل جزء معينا من الهوية المجتمعية

تتجاوز الرؤيا الموضوعية لتطور المجتمع

العالمي وللمجتمع ذاته لاسيما فيما يتعلق

سالغايات والاهداف والامال التي يتطلع

النظام الاجتماعي الى بلوغه وتحقيقه

متناغما مع مسيرة الانسانية جمعاء نحو

وقد يعتقد البعض ان مايمر به اليوم المجتمع

العراقي من تناحر طائفي وظواهر التهجير

يعيشها اي مجتمع .

الرقى والتطور .

ازمة التحولات الاجتماعية في العراق.

عينيه على نور الحقيقة ،

ويرفض النظر في التواهيت

الغربية فقد كانت لها أمراضها الخاصة والتي ستؤدي بالمجتمع كله إلى سلسلة مِّن النكسات والهزائم المتلاحقة بدءاً من هزيمة ثورة عرابي وثورة ١٩١٩ وانتهاءً بالهزيمة الكبرى فيَّ ,١٩٦٧ وفي ظروف متشابهة نشأت . البرجوازيات العربية وأفكارها، وهي البرجوازيّات التي منها ستخرج النخبّ السياسية والنخب الثقافية، في كات محمد عنده من دعاة الإصلام كانتُ هناك دوماً خطوة، أو نصف خطوة، ناقصة في مسيرة النهضة في

مثّل فكـر الـطهـطـاوي ومن ثم فكـر

محمد عبده تطلعات الطبقة

وتناقضاتها. ولأن هذه الطبقة نشأت

في سياق مغاير لنشوء البرجوازية

الاتجاه الصحيح..كان الطهطاوي قد وصل بفكره إلى أقصى أفق متاح في إسار مرجعيته الدينية ومحددات مؤسسة الأزهر التي ينتمي إليها، والسياق التاريخي لتطور الفكر الإسلامي. ومن المجّحف مطالبته بأكثر من ذلك. ويمكن القول نفسه بخصوص فكر محمد عبده، ولكن بدرجة أقل. ويشير محمد نور الدين أفاية إلى أن محمد عبده بقى في تعاطيه مع مضاهيم الدولة والديمقراطية والعقل والأمة والشعب "داخل الحقل الإيديولوجي والإبستمولوجي الإسلامي السابق على النهضة والمطالبة باستعمال العقل. المرتبط عضوياً بالإرادة الحرة. لم يتمكن عبـده ضمنهـا من تجـاوز المقولات الكلاسيكية للفكر الإسلامي، فقاموس مستنداته المرجعية لا تخرج، إلاً قليلاً، عن الأطر المعتزلية الكلاميةً أفاية/ ص,٣٣ وستفضى التوفيقية والترقيعية هذه ومجموعة التناقضات في فكر رواد النهضة إلى نقطة فارقة، وسيكون هناك توجهان أساسيان؛ الأول وهـو الـذي سيحـاول إكمـال نـصفِ الخطوة أو الخطوة الناقصة متمثلاً بعلي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) وطه حسين في كتابه (قِ السُّعر الجَّاهلي) وهذا التوجه سيتم إجهاضه من قبل أصحاب التوجه الثاني وهؤلاء يمثلهم خط رشيد رضا وحسن البنا وسيد قطب

انشغل رشید رضا (۱۸۲۵ . ۱۹۲۵ تلمید محمد عبده وكاتب سيرته) كما هو شأن من سبقوه ومن جاؤوا بعده بالسؤال عن العلل الكامنة وراء تخلف الأمة الإسلامية. وكان متبقناً من أن تطبيق تعاليم الإسلام على حقيقتها سيحقق الفلاح في هذه الدنيا، أيضاً. وأن "سبب هذا التخلف هو أن المسلمين

وجماعة الأخوان المسلمين.

قد فرطوا بحقيقة دينهم بتشجيع من حكام سياسيين فاسدين" حوراني/ البرجوازية المصرية الصاعدة ص٧٧٤٠٠ وكان يدرك حجم الهوّة والتحديات التي تضرضها على أمة الاسلام المدنية الأوربية الحديثة، وأنه لا بد من كسر الجمود والتقليد وإصلاح الشريعة الإسلامية وإعادة تكوين الدولة الإسلامية من خلال شرطين اثنين "علماء حقيقيون وحاكم إسلامي حقيقي، أو بتعبير آخر، خليفة حقيقيّ" ص٢٨٧ حوراني. كان رشيـد رضـا سليل ذلك الخـط

الفكري الإسلامي المتد من ابن تيمية وحتى محمد بن عبد الوهاب، وتفسيراته مستمدة من المذهب الحنبلي المتزمت. وهو الخط الذي قد لا ينتهي عند فكر جماعة الأخوان المسلمين بل يمتد إلى التضرعات السلفية اللاحقة كلها بما فيها

حركات الجهاد العنفي. عادى رشيـد رضا تقاليـد الغـرب الاجتماعية. وحيث كانت حرية المرأة ودورها في الحياة العامة من المسائل الخلافية عند كتاب ومثقفي عصر النهضة العربية فقد كانت لرشيد رضا تحفظاته على كتاب قاسم أمين (تحرير المرأة) على الرغم من إعجابه ببعض جوانبه. فحول ما يتعلق بالحجاب وما قال عنه قاسم أمين يعلق رشيد رضا "ومثل هذا القول يجرئ المتفرنجين على تعجل ما يشتهون من مشايعة الأفرنج في عاداتهم" وحين أصدر علي عبد الرازق كتابه (الإسلام وأصــوّل الحكـم) هاجمه رشيد رضا على صفحات مجلته (المنار) وعدّه مما يمكن لأعداء الإسلام استغلاله في محاربة الإسلام، وصدمة قاسية للإسلام في حربه مع من أسماهم بالطامعين

هما كتابان صدرا في عشرينيات القرن المنصرم، لم يكونا قط اعتياديين، يمكن أن يمر نشرهما مرور الكرام. فقد أحدثا صدمة وردود أفعال حازمة ومتشنجة في الأوساط الفكرية التقليدية، فأديا على الرغم مما لحق بهما من حيف وإجحاف إلى فتح أفق جديد في حياتنا الفكرية المصابة بالشحوب والتخلف ناهيك عن

ووحوش المستعمرين.

الكتاب الأول هـو (الإسلام وأصـول الحكم) صدر في عام ١٩٢٥ بتوقيع الشيخ علي عبد الرازق (١٨٨٨ . ١٩٦٦) أما الكتاب الثاني فهو (في الشعر الجاهلي) صدر في عام ١٩٢٦ بتوقيع الدكتور طه حسين (١٨٨٩ . ١٩٧٣) إذ يعدَّان مُعا لحظة في عاية الأهمية في



زمن فكر النهضة العربية. لحظة جرى إجهاضها بقسوة بالغة غيرأن . ذبذباتهما ظلت تتردد كلما استولى هاجس النهضة على تفكيرنا.. وكلما نقبنا عن أسباب تلكؤ وإخفاق وسقوط هذه النهضة، وما آلت إليه أحوالنا من حكم للطغاة النين جاؤوا بالغلاة النين جاؤوا بالغزاة، بعبارة الدكتور سعد الدين إبراهيم. كتاب (الإسلام وأصول الحكم) كراس

صغير لا يتعدى حجمه بضع عشرات من الصفحات غير أنها عملت على تقويض أسس بنية هائلة من الفكر السياسي الإسلامي المتعارف عليه، فللمرة الأولى يتجرأ شخص . وهو من علماء الأزهر. على الحديث عن فصل الدين عن الدولة ويقر بأن الخلافة (وكذا الإمامة) ليست ركناً قاراً من أركــان الإسلام. وأن القــرآن والــسـنــة كلاهما لم يأت بما يدعم توجهات القائلين بشكل الحكم في ظل الإسلام، ولم يقل بوجوب الخلافة أو نصب الإمام. كذلك أنكر أن يكون القضاء وظيفة شرعية. ويذكر غالى شكري في كتابه (النهضة والسقوط..) أن طلائع الحملة ضد كتاب عبد الرازق تشكلت من "الملك والإنكليـز وحـزب لاتحاد ممثل الإقطاع غير المستنير من الأرستقراطية المصرية. وكان لابد من أن تتجسد الحملة في أهل الاختصاص من علماء الدين. وأن لابد أخيراً من أن يلتحق بالحملة عنصر التخلف الفكري لدى ممثلى الطبقات الشعبية وفي مقدمتهم زعيم ثورة ١٩١٩ سعد زُغلول" شكري/ ص, ٢٤٠ وإذن فقد طرد عبد الرازق من القضاء ومن هيئة كبار علماء الأزهر، وسُحب كتابه من التداول ومنعت إعادة نشره. وفي السنة التالية أثار كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين ما أثاره الكتاب السابق من احتجاجات وردود أفعال وقُدم

محمد عبده

صاحبه للتحقيق أمام النيابة العامة تمهيداً لمحاكمته. تجرأ طه حسين ولامس بعضاً من المحددات الفكرية المقدسة مخضعا

إياها لمنهج الشك الديكارتي ولمعايير النقد العلمي فشك أولاً في أنّ يكون ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي قد نَظُّم قبلُ الإسلام. فالنسيج البلَّاغي لهذا الشعر "الذي استقر في التاريخ والوجدان المتوارث بأنه يمت إلى العصر الجاهلي، بينما صوره وأوزانه وأخيلته، بل وأشباح معتقداته تمت إلى صدر الإسلام" غالي ص, ٢٥٢ وأن ذلك الشعر ليس جاهلياً بل صيغ في صدر الإسلام ليبرر الهدف الإسلامي، ويظهر ذلك واضحاً في قضيتين أولاهما قضية نسب الرسول والأخرى

قضية دين إبراهيم. كان طه حسين مفكراً عقلانياً، آمن بقدرة العقل على تفسير البني السياسية والاجتماعية وتأشير اختلالاتها تمهيداً لتحويلها. وكان يعتقد بأن جذور الحضارة الإنسانية هي الحضارة الإغريقية،ولذا دعا إلى النهل من منجزات تلك الحقبة من تاريخ العالم، والتضاعل معها، أو مع العقل الني أنتجها. وذلك العقل بحسب رأيه هـو الأصل في التقـدم الغربي الحالي، وأنه لا طريق أمام المتخلفين سوى الأخذ بالمنهج العقلى في مفاهيمه وآلياته ومعطياته. ورأى أن "العقل الغربي أنتج الفلسفة والحرية والأنظمة السياسية المتبدلة بُتبدل النزمن والتاريخ، أما العقل الشرقى فقد ولد الشعر والكهانة

والملكية والاستبداد" أفاية/ ص, ٤١ وإذا كان العقل هو أداة الإنسان لمعرفة العالم والحياة والطبيعة والسيطرة عليها فإن الدين هو وسيلته لإشباع حاجاته العاطفية والانفعالية، ولا بد من التوازن بينهما . بعد صراع . كما

حدث في أوربا ليستقل كل منهما في مجاله الخاص. وهنذا على وجه التحديد هو جوهر الفكر الليبرالي العلماني الذي كان هو (طه حسين ً ممثله النموذج في مصر والبلاد العربية مذ عاد من دراسته في فرنسا في العام , ١٩١٩

أكد طه حسين أن الحضارة كل واحد لا يتجزأ وأن أي تقدم الآن لا بد من أن يتخذ طريق التشبه بالحضارة الغربية. فالعقل والحرية والفكر والفن والأدب والتكنولوجيا والاقتصاد نسيج واحد لا يقبل التجزئة والترقيع. وأن التضاعل مع فكر الغرب وتقافته سيستحيل، لا شك، إلى شيء فريد " وهكذا، فإن تفاعلنا الحضاري مع الغرب، سوف يثمر مع الانفتاح الخالى من العُقد ومركبات النقص أنموذجًا مصرباً عربياً أصيلاً" ماذا تبقی/ ص ,۲۵

وإذا كان طه حسين قد وضع أسس منهجه العقلي المستمد بالأخص من ديكارت وأوغست كونت ودوركهايم وطبقه في كتابه (في الشعر الجاهلي) فإنه وضع إطاراً لتصوره عن شكل المجتمع وثَّقافته في أوروبا في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر).

في هذا الكتاب سيدعو جهاراً إلى ______ الأحتذاء بالمثال الأوروبي من غير تردد أو مواربة "علينا أن نصبح أوروبيين في كل شيء، قابلين ما في ذلك من حسنات وسيئات". وكان يعتقد أن مصر تنتمى إلى حضارة البحر الأبيض المتوسَّط، وأنها جزء من أوروبا في مكوناتها الثقافية، وأن على المصريين أن يـدرسـوا تـاريخهـم ويبـصـروا مستقبلهم في ضوء هذا.

وكان يعي درجة وخطورة الصلة في مجتمع مثل مجتمعاتنا بين الثقافة والسياسة والمجتمع "الثقافة آدابها وفنونها وقوانينها وقيمها، مرتبطة بالسياسة والمجتمع كأوثق ما يكون الارتباط" ماذا يبقى / ص ,٦٩ غير أنه كان يعيب على الأجيال المتأخرة ولعهم بالسياسة أكثر من ولعهم بالثقافة "أنتم تشتغلون بالسياسة أكثر مما تشتغلون بالثقافة، وأنتم تشتغلون بالسياسة دون فكر سياسي" ماذا

يبقى/ ص,٧٦ اختط طه حسين ومهد طريقاً، للمرة الأولى، في العصر الحديث لباحثين وكتّاب جـاؤوا بعـده للأخذ بالتفكير العلمي والمنهجي في النظر إلى الواقع والتاريخ. وأحسب أنه إلى جانب علي عبد الرازق كانا من أوائل مفكري النهضة العربية النين غامروا باستنطاق المسكوت عنه، وتعاملوا مع ب ما أطلق عليه بالمنوع التفكير فيه.

ولعل طه حسين يعد الأب الروحي لكل أولئك المفكرين العرب في القرن العشرين ممن راحوا يستثمرون فتوحات المناهج الفكرية الحديثة وما تتصل بها من مفاهيم ورؤى، يبثونها ويطوعونها، لتحليل ومعرفة راهننا الاجتماعي والسياسي والثقافي، وقراءة تاريخِنا من مداخل لم تكن مطروقة قبلاً.

رىما كم يأت طه حسين بمنهج متسق، وقطعاً ثمة مؤاخذات على ستنتاجاته وقراءاته، لكن فضله يتجلى في أنه أضفي على الفضاء المعرفي العربي بعضاً من روح جديدة، وهكذا أراد، قوامها الشجاعة وحرية التفكير وموضوعيته. لم تجر الأمور كما كان يحلم، هو

وجيله. وفي أواخر أيامه كان يشعر بالمرارة لما آلت إليه وضع الثقافة والمجتمع، يقول: "يخيل إلي أن الناس لم تعد تهتم بالثقافة الجادة، ومن السياسة تأخذ القشور وعناوين الصحف والصور. هكذا أصبحت ثقافة العامة في زماننا هي ثقافة الخاصة في زمانكم... ثمة شيء خطأ قد حدث، ولكن ما هو؟" ماذاً يبقى/

وعلى الرغم من أنه قال هذا الكلام في ر. أواخــر أيــامه في لقــاء له مع غــالي شكري إلا أن ذلك يبدو وكانه يخاطبنا الآن، من وراء حجب الغيب، فها هو يقول "إنني في آخر أيامي، أودِعكم بكثير من الألم وقليل من

تلمس طه حسين بحدسه الثاقب ورؤيته العلمية موطن الخلل وعرف أن النهضة الفكرية التي كان واحداً من أبرز رجالها قد أصيبت بمقتل أو كادت، وأن أعداءها استشرسوا عليها وأننا على وشك الدخول في نفق المصادر:

١. تعنى الإشارة (حوراني) كتاب ألبرت حوراني (الفكر العربي في عصر النهضة . ١٩٣٩.١٧٩٨) ترجمة: كريم عزقول.. دار النهار للنشر. بيروت.. بلا تاريخ نشر.

... ٢. تعنى الإشارة (شكري) كتاب غالي شكري ((النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث) دار الطليعة.. بیروت.. ط۱/ ۱۹۷۸ `

٢. تعنى الإشارة(أفاية) كتاب محمد نور الدين أفاية (الغرب في المتخيل العربي). ٤. تعنى الإشارة (ماذا يبقى) كتاب

غالى شكري (ماذا يبقى من طه حسين).. دار المتوسط.. بيروت.. ط۱۹۷٤, /۱۹۷۶

الستحصولات الاجستسهاعسي

القسري المتبادل والاقتتال الطائفي والعرقي غير المسبوق قد تدخل في اطار التحول الاجتماعي الداخلي غير الطبيعي. ,٣التحول الاجتماعي الخارجي: وهو التحول

الاجتماعي الذي يتم وفق شروط ومواصفات لتحولات خارجية قد تختلف جزئياً أو كلياً عن شـروط التحـول الـداخلي الـذاتي ، ووفق اجندة خارجية متحكمة في سرعة وحجم واتحاهات هذا التحول ، فلا سلطان لهذا المجتمع على محركات ومصادر هذا التحول الغريب ، الذي يضرب بتياراته العنيفة المنظومات المعرفية للمجتمع من خلال اثارة سلسلة مراجعات للذات ومقارنات قد تؤدي الى التسليم بقدرة العامل الخارجي على حل مشكلاتنا المزمنة كتعبير عن الاحباط العميق بداخلنا والعجز عن النهوض الذاتى بواقعنا وصولاً الى تمثل سيرة الغالب المنتصر. وهذا الامر اخذ يتبلور بشكل جدي وملموس في اتجاهات حركة التفكير المجتمعي في العراق نتيجة السياسة الاستعمارية التي نفذتها سلطات الاحتلال على مدى اكثر من اربع سنوات، إضافة الى المناهج السلوكية الغريبة للجماعات والقوى الدينية المتطرفة والتكفيرية القادمة من وراء الحدود.

مؤشرات الواقع الاجتماعي العراقي مما الشك فيه أن التحول الاجتماعي الذي يجري في العراق اليوم هو تحول اجتماعي داخلي غير طبيعي الي جانب تاثره باجندةً خـارجيـة وقـوى اقليميـة اخـرى تحـاول تغييـر مسارات التحول الاجتماعي في العراق لمصلحتها. و لغرضٌ فهم الواقع الاجتماعيّ الحالي في العراق ، فإن صورة التحول قد لا تبدو واضحة، لمن يبتلعه تيار التحول وبالتالي قصوره عن فهم الخلفيات التي تغذي وتوجُّه مجريات هذا التّحول، ولذلك فإن المجتمع قد يشهد تغيرات نوعيةٍ جوهرية ولكن لا تضَّفى في الظاهر الى تمثّلات في الفكر أي لم تطلّ مباشرة الأساسات الذهنية ، بمعنى آخر قد يحـدث الـتحــول القــادم من الخـــارج تغييــراً عظيماً في سلوك المجتمع أو قطاع كبير منه . ولكن ليس بالضرورة أن يترك تأثيراً مباشراً

وعاجلاً في الفكر، على أنه بالتأكيد يستبطن طيفاً من الاسئلة تتراكم بمرور الوقت كلماً اتسعت وتزايدت التغييرات السلوكية وصولاً الى تغييرات كبيرة في الاساسات الذهنية، تتمظهر في عملية اختلالات في المنظومة الثقافية ونظام القيم وطرق المعيشة وأنماط التفكير وشبكة العلاقات الاجتماعية ويمكننا تأشير اهم وابرز مظاهر عملية التحول الاجتماعي في العراق من خلال رصد

•الرجوع الى الاوضاع الاجتماعية القبلية في اطار من السكون في الوعى العام ، يكاد

يختزل نظرة الانسان للكون عند حدود المعرفة الموروثة. • الربابة الكسولة في التفكير واللهاث وراء تأمين الحد الادنى للعيش كتعبير من جهة

عن الصراع من اجل البقاء.

•تردي وتراجع و قصور الانسان العراقي عن وعي ذاته فضلاً عن جهله التام بقدرته على التغيير في واقعه الضردي والأجتماعي فلا مكان للابداع والمغامرة والتطلعات البعيدة، وروح المسؤولية الفردية والاجتماعية، وسرعة المبادرة، كشروط ضرورية في عملية التغيير... •عجزاً مجتمعيا مزمناً وعميقاً ينعكس في جزء مهم منه في الغياب التام عن وعى حركة التاريخ أي العيش في مكان خارج دورة التاريخ بل خارج دورة الزمن، فلسنا معنيين بما جرى ويجري خارج السور طالما أن ذلك لا يقلق

•الفراغ الفكري الواسع الذي نجم عن تدمير وانهيار مؤسسات الدولة العراقية (وليس النظان السابق) جعل الفرص مؤاتية لملئه بأي شيء وبأي طريقة، فاسحا الجال لتحولات جوّهرية كبيرة في الواقع الاجتماعي، ووضع حجر الاساس لمجتمع مضاد يعاد تشكيله في جو من الصراع الفوضوى العبثي بكل ما فيه من عناصر جديدة، وتفاعلات متنّوعة، أي بما يحدث من تبدلات فوقية، في نظام التفكير، وتحتية في نظام القيم والعادات وطرق المعيشة

اتجاهات التحوك الاجتماعي في العراق

ينطلق بوتائر متسارعة ويعصف بكل البني القديمة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية وكانت هناك حاجة الى كوابح للحد من سرعة التحول وأضراره المحتملة ، فهناك عالم جديد يقذف بعالم قديم ويستوعب بحضوره الكلى

والصارم كل البنى القديمة اجتماعياً

ان طبيعة التحول الاجتماعي العراقي اليوم

بدلت التراتبية التقليدية السائدة في المجتمع

. المؤسسة على نمط معيشي محدد، كما بدل

النظام المراتبي، والنظام القيمي، وأتجه

بسرعة كبيرة لاحداث تغيير كبير في العادات

والتقاليد. وعليه لم يعد خافيا ان المجتمع

يخضع لعملية تجديد قسرية، تتطلب العبور

بالمجتمع من الممر الطبيعي، أي إحداث تبديل

في قاعدته الفكرية واعادة تشكيلها، وفضاً

لشروط المرحلة الجديدة ومتطلباتها، وأن

اختفاء أو تأخر التبدلات الفكرية لا يعنى

بتاتاً عدم وجودها، فهي تفعل فعلها في مكان

آخر، أي في الاعماق وتمارس عملية تفكيك

هادئة وطويلة المدى للقواعد الفكرية ومن ثم

فهي تعول في ظهورها متغيرة مستقبلا عند

توفر الشروط المناسبة. الا اننا يمكننا تلخيص

اتجاهات التحولات الاجتماعية في العراق بما

. اولاً". المستوى الثقافي: حيث أفضت الاوضاع

الاجتماعية الجديدة وما رافقها من انفتاح

كبير على الخارج، تمثل بتدفق التكنلوجيا فيَّ

سيل هائل من الاجهزة الكهربائية

والالكترونية، وانتشار وسائل الاتصال الحديثة

(التلفون النقال ، المحطات الفضائية

والانترنيت) والسفر للخارج، كل هذه وغيرها

من معطيات ساهمت ايضاً في كسر احتكارية

التوجيه المحلى الذي كان سائدا" قبل نيسان

٢٠٠٣، وأصبح التكوينَ الثقافيُ للافراد والفئات

الاجتماعية يخضع لمصادر توجيه متعددة،

وكان من الطبيعي أن تتسرب بعض الثقافات

الاجنبية للداخل، بما يضعف من تأثير

مصادر التوجيه المحلية، ومن الطبيعي أن

تغذى هذه الثقافات ميول سياسية متنوعة

وأحياناً متنافرة، وقد تأخذ شكلاً تنظيمياً

وصل الى حد الاقتتال . حيث انه في الوقت

الذي لعبت مصادر التوجيه الثقافي الخارجية

في تهميش دور التوجيه المحلى، فإنها رهنت

المجتمع لكل التبدلات التي تمر بها ووفق

اجندات تتماشى مع مصالحها، ولم يعد

المجتمع العراقي في منأى عن تأثير تلك

التبدلات، سياسية كانت، أو ثقافية، أو

ثانيا. التحول السلوكي: حيث ان السلوك

المجتمعي العراقي بدأ يأخذ منذ وقت قريب

هيئة تحول فكري خطر، فالتغير الكبير في

البيئة الاجتماعية لا يعدو كونه سوى مؤشر

اقتصادية.

واقتصادياً وفكرياً وأيضاً سياسياً.

سباتنا أو يهدد لقمتنا ، فالأزمة ليست مختصرة فقط في التهجير ولا بالقتل والاختطاف اليومي ، وإنما بما يحدث من تطوير في الحركة المجتمعية العامة باتجهات قد لاتكون صحية ، نتيجة تباطوء واضح وبين

والضاً غياب التطلعات المشتركة، والهموم المشتركة، والاهداف المشتركة، وفي نهاية المطاف ثمة تغييرات تحضر عميقاً في واقع المجتمع وتعيد تشكيله وصياغته وفقا لبيئة وشروط

في وتائر النمو المعرفي للمجتمع ، وتقدمه

والانتاج.

بكلام آخر، أحدثت المرحلة التي تلت نيسان ٢٠٠٣ طفرات مضاجئة مولدة طيفا من الاختلالات والانقطاعات، فمن الفقر المدقع لشرائح مجتمعية معينة الى الغنى الفاحش والعكس صحيح بالنسبة لشرائح اخرى ، ومن العزلة التامة الى الانفتاح المطلق. لقد حدثت تبدُّلات كبرى في الاوضاع الاجتماعية، وهي تبدلات تسببت في قطع الاواصر بين الاجيال مسفراً عن (صراع الآجيال)، متمظهراً في غياب اللغة الشتركة في التفاهم والتعامل

ومحفزات جد مختلفة.

ومن زاوية نظر أخرى، فإن التحول أخذ

بارز على احتمال تبلوره في تيارات فكرية احتجاجية ، ستوجه صدماتها للقواعد الفكرية وحقل اليقينات، وهذا التحول المشدود بالخارج يستمد قوته ومبرره من احباطاًت الواقع، الذي يضيق ويتسع حسب قوة وشائج الصلّة بأجّزائه الْقَرِيْبَة والبعيدةُ، كما يستمد قوته ومبرره أيضاً من نجاحات الخصوم للمجتمع العراقي وهم في حالة المجتمع العراقي بات من الصعب فرزهم بشكل موضوعي عن القوى الضاعلة والمؤثرة في حركةً المجتمع العراقي نفسه ، وهذه هي القنبلة الموقوتة التي قد يؤدي انفجارها الى مالا . محمد عقباه.

قد تفضى الى تبلور اتجاه نقدي عنيف في عموم المجتمع العراقي يمارس عملية جلد قاسية للذات عبر مراجعة انتقامية للتراث (الديني بالذات) وتحميله مسؤولية كاملة لكل الانهيارّات التي شهدها النسيج الاجتماعي ، وهذا الاتجاه بدأ يتنامي بعد انسداد أفق الحل داخليا واقليمياً ودولياً .

هك من سبيك لتقليك اخطار التحولات الاحتماعية؟

استنادا" لما سبق بحثه قد تبدو هذه الرؤية متشائمة حداً بالنسبة للبعض، كونها تصدر عن تحليل سلبي وفي ظاهره انهزامي للاوضاع الاجتماعية ، ولكني، مع ذلك، أعِّتقد بِأنَّ تشريح الواقع واكتشافًه يتطلب قدراً كبيراً من الجرأة والصرامة أحياناً، ولكن بشرط معرفة كيفيــة التعــاطـى معه وتهيئــة الـشــروط الضرورية للتحكم ولتنظيم مسارات هذه التحولات الاجتماعية غير الطبيعية، وعند ذلك يصبح كل شيء ممكناً. ومن الجـديـر بالذكر ال ثمة رهان كبير لدى نخبة من الاستراتيجيين والمفكرين المتابعين للحالة العراقية بتراجع الذهاب الى نظام اجتماعي قائم على الانحياز للقوى والتيارات والاحزاب التي ترفع شعارات دينية طائفية لاسيما بعد فشل تلك القوى في قيادة عملية التحول الاجتماعي بالشكل الذي يخرج المجتمع العراقى من محنته ومعاناته وازماته بسبب من مغالاتها في التعويل على الخيارات القهرية في اجراء عمليات التحويل الاجتماعي ، فذلك خلاف الطبيعية البشرية . كما إن البحث عن حلول سحرية يصبح مجرد اعانة اضافية لمجابهة أخطار التحول المجتمعي غير الطبيعي الذي نجم بعد نيسان ٢٠٠٣ الا آن الخطوات الَّتي يمكن تقليل اخطار ذلك التحول يمكن ايجازها على النحو

, امراجعة شاملة وجريئة للوعي الثقافي والتاريخي العراقي ، سعياً الى فهم واقعنا وبحثاً عن أسباب نهوضنا والعمل على تحرير هذا الوعي من كل معوقات النهضة وهذه

المراجعة اذا ما تمت كفيلة بأن تحد من التأثيرات السلبية للموجات الفكرية السلبية الغريبة عن المجتمع العراقي ، شريطة أن تضع المراجعة الاصبع على مشكلاتنا الحقيقية، وأن تتسلح بجرأة كبيرة في نقد ماضينا وحاضرنا، وفي نفس الوقت قادرة على توفير حلول مناسبة لتسوية تناقضاتنا العاجلة

داخلية تحركها عوامل اجتماعية وسياسية وايديولوجية، أفضت الى تصدعات في بنية المجتمع، وباتت تنذر بانهدامات خطرة، تلك النزاعات القائمة على اساس الفروقات القبلية، أو الانتماءات الحـزبيـة المتنـوعـة، أو . الاختلافات المذهبية.

العنف والتطرف والجريمة والتخلف.

استشعار أخطار غياب الثقة، والاستعداد المبدئي على ازالة اسبابها، ولعل من أهمها ، الانحباس ضمن دوائر انتماء ضيقة ايديولوجية وقبلية ومذهبية ، واعتبار دائرة الانتماء الاكبر والوحيدة هي دائرة الوطن. لقد دفع المجتمع العراقي مند نهاية خمسينيات القرن الماضى ثمنا باهظا بسبب انعدام الثقة، دفعناها من أمننا الضردي والاجتماعي والوطني، ودفعناها من امكانياتنا الأقتصادية، وقدراتنا البشرية، ودفعناها من استقرارنا السياسي، ودفعناها من تطورنا العمراني، وبات الكلُّ يبحث عن مصادر ثقة أخرى وقي الغالب خارجية، وهي مصادر ليست حريصة على مصالحنا، بل , ٥ بث ثقافة نهضوية شاملة، تساعد على

والآجلة. ٢, تصفية النزاعات الداخلية: ثمة نزاعات

,٣إرساء تقاليد للحوار: فقد بات الحوار خياراً جماعياً وضرورة موضوعية تتطلبها بالحاح الحالة المجتمعية في العراق اليوم . تتطلب تعميمها لتصبح لغة الحوار حاكمة بين فئات المجتمع كافة، وبين المجتمع والدولة، إذ لا سبيل سوى الحوار من أجل احباط مبررات

,٤ بناء الثقة: إن بناء الثقة يستند إلى مصلحتها في استمرار تمزقنا وتشظينا.

اكتشاف طاقات أبنائنا وتوجيهها في خدمة مشروع البناء الحضاري لبلداننا، وتزرع روح المسؤولية في كل أبناء المجتمع لجهة تكريس الجهود الفردية والجماعية للانخراطُ في مشاريع التنمية ، وسن قوانين جزائية صارمة من اجل القضاء على الفساد الاداري المتسرب الى مؤسساتنا التربوية والاقتصادية، ومنح المخلصين وأصحاب الكفاءات العالية فرص المشاركة في البناء والاعمار، وتوفير الحوافز الضرورية من اجل تشجيع أصحاب رؤوس الاموال على استثمار أموالهم في مشاريع اقتصادية تنموية تساهم في حل مشكلات راهنة كالتوظيف، كما تساهم في بناء مستقبلنا الاقتصادي.